المراكز العلمية المقدسية بدمشق خلال القرنين 6-7هـ/12م -13م

أ/ شيخي فريدة

المدرسة العليا للأساتذة ببوزريعة الجزائر

- مقدمة:

شهدت دمشق بداية من النصف الأول من القرن السادس هجري (551هـ/1157م)، حدثا تاريخيا هاما تمثل في هجرة أسرة المقادسة[113] إلى دمشق برئاسة كبير وفقيه الأسرة أحمد بن قدامة (ت 558هـ/1262م)، فكان لهجرة أسرة المقادسة أثر كبير في دعم وتنشيط الحياة العلمية خاصة خلال القرنين (6هـ-8هـ/ 12م-14م)، لما كان لها من دور كبير في بناء النهضة العلمية بدمشق في تلك الفترة.

ومن بين مظاهر التأثير العلمي لأسرة المقادسة على دمشق في تلك الفترة بناء المراكز العلمية ،فما هي أشهر المراكز العلمية المقدسية بدمشق خلال القرنين7.6هـ / 12م .13م: ؟ ومادورها في دعم الحياة العلمية بدمشق أنداك ؟

هدا ما سأحاول الإجابة عنه في هدا البحث الوجيز.

أولا دير المقادسة:

كان إسهام المقادسة في إقامة المؤسسات العلمية بدمشق مبكرا، فبعد هجرة أسرة آل قدامى المقادسة إلى دمشق عام 551هـ/1157م، أقاموا مقرهم في جبل قاسيون[114] خارج أسوار مدينة دمشق الذي تطور فيما بعد وأصبح يعرف بهم "الصالحية"[115] ولخدمة بني قدامه وأتباعهم من المذهب الحنبلي بدءوا في بناء أول مؤسسة تعليمية دينية تمثلت في الدير الذي عرف بعدة أسماء هي "دير الحنابلة"، نسبة للمذهب الحنبلي، مذهب أسرة آل قدامه، ودير المقادسة نسبة لموطن وأصل الأسرة، ودير الصالحين، كذلك نسبة لصلاح أسرة آل قدامه.

---

[113] أسرة المقادسة: أسرة آل قدمى المقدسية تنحدر أسرة المقادسة من سلالة الصحابي عمر بن الخطاب رضي الله عنه ،أصلها من جماعيل "قرية بنابلس من ارض فلسطينية هاجرت إلى دمشق عام 551هـ 1157م لاحتلال الصليبيين بيت المقدس، سميت بالمقادسة نسبة إلى بيت المقدس تفرع عنها أكثر من 12 أسرة عليمة ضمت أكثر من 115 عالما وعالمة. أثرو في الشؤون العامة للبلاد الشامية للاطلاع أكثر عن تاريخ هده الأسرة ووقائع هجرتها إلى دمشق وأثارها العلمية "أنظر ابن طولون شمس الدين ،القلائد الجوهيرة في تاريخ الصالحية ،تحقيق محمد احمد دهمان مكتب الدراسات العليا للاساتدة ،دمشق 1375هـ 1956م،ص5ومابعدها

[114] جبل قاسيون: هو الجبل الأشم الذي تقوم مدينة دمشق عند أقدامه، يتصل من جهة الغرب بسلسلة جبال لبنان، ومن الشمال والشرق بسلسلة فلمون الممتدة إلى منطقة حمص (انظر عن تاريخ هذا الجبل محاضرة أحمد دهمان في مقدمة كتاب القلائد الجوهرية ، ص25 وما بعدها)

[115] الصالحية: هي قرية من قرى سفح قاسيون، كانت تعرف سابقا بقرية النخل وبقرية الجبل أنشأها في أواخر القرن السادس للهجرة بنو قدامه المهاجرين أيام نور الدين محمود زنكي أما مصدر تسميتها فمختلف فيه قيل لأنها بسفح قاسيون والمعروف بجبل الصالحين، وقيل لأن الذين أنشئوها، أقاموا قبل ذلك في مسجد أبي صالح، فنسبت إليه، وقيل نسبة لصلاح مؤسسيها (أنظر قتيبة الشهابي، معجم دمشق التاريخي، معجم دمشق التاريخي للاماكن والأحياء والمشيدات،ومواقعها وتاريخها ،دمشق،ج2،ص69،

والدير هدا عبارة عن مركز علمي يشبه الرّباط[116] بسفح قاسيون، بناه الشيخ أبو عمر المقدسي الحنبلي (607هـ/1210م) بعد وصوله إلى دمشق ومكوثه بسفح قاسيون، حيث كان ينفق على احتياجاته، ووسعه فيما بعد ببناء دور حوله ،ومن مظاهر النشاط العلمي لدير المقادسة هو تعلم النساء فيه.

وممن كانت تعلم النساء فيه المحدثة حبيبة بنت الشيخ أبي عمر المقدسي (ت674هـ/1275م)، وأختها آمنة بنت أبي عمر (ت637هـ/1240م) التي كانت تقرئ القرآن فيه للنساء.[117]

وكان لهذا الدير أوقاف عديدة منها أضحية" الست زينة" تفرق في كل سنة بيد القاضي بدر الدين بن عبد الهادي وهي وقف عليه وفرقت على أهل الدير مدة[118].

ويشير ابن كثير في حوادث سنة 699هـ/1300م) أن هذا الدير تعرّض لهجوم من قبل التتار وأسر النساء هناك[119].

ثانيا :المدرسة العمرية:[120]

تقع هذه المدرسة على نهر يزيد، جنوب جامع الحنابلة[121]، وبالقرب من ديرهم "دير الحنابلة" السابق الذكر، قال ابن شداد تقع في وسط دير الحنابلة[122] أما ابن طولون الصالحي (ت953هـ/1576م)، فذكر أنها ليست في وسط دير الحنابلة، بل هي في الجهة الشرقية منه[123]، بناها الشيخ أبي عمر محمد بن قدامه المقدسي، (ت607هـ/1211م)، ابتداء من عام 557هـ/1163م[124]، ويروي المؤرخ السبط بن الجوزي (ت654هـ/1256م) عن بناء هذه المدرسة أن الشيخ أبا عمر محمد بنى مدرسته على أساس مدرسة صغيرة،

---

[116] الرّباط: وتجمع ربط، وهو المكان المخصص للعبادة والعزلة في العواصم للرجال والنساء على حد سواء ، وإن غلب اسمه على النساء، وإذا وجد في الثغور ومناطق الحدود كان للعبادة والجهاد ومقرا للمقاتلين، ومأوى للقوافل، أنظر قتيبة الشهابي، معجم دمشق التاريخي، المرجع السابق، ج1، ص319.

[117] الذهبي، تاريخ الإسلام، المكتبة الشاملة ج10، ص 56.

[118] النعيمي عز الدين،الدارس في تاريخ المدارس ،ط1،بيروت،دار الكتب العلمية ،1990م ، ج2، ص 104.

[119] ابن كثير أبو الفداء إسماعيل البداية والنهاية ،مكتبة المعارف ،بيروت،دط ت،ج14،ص10

[120] جاء في كتاب القلائد الجوهرية لابن طولون الصالحي، اسم المدرسة العمرية باسم المدرسة الشيخة وكذلك ذكرها النعيمي في كتابه الدارس، ولعل السبب في ذلك يرجع لكبرها وأهميتها بين مدارس ذاك العصر، فيقال الشيخة لأنها شيخة المدارس، أو نسبة لبانيها الشيخ أبي عمر المقدسي (ت 607هـ).

[121] أنظر عنه المبحث الموالي من هذا البحث

[122] ابن شداد عز الدين ،الأعلاق الخطيرة في ذكر أمراء الشام والجزيرة،تحقيق سامي الدهان ،المعهد الفرنسي للدراسات العليا ،دمشق،1375هـ/1956م

المصدر السابق، ج2، ص259.

[123] ابن طولون، القلائد الجوهرية، المرجع السسابق ،ج1، ص165.

[124] النعيمي، الدارس ، ج2، ص100، وابن طولون القلائد ، ج1 ص165 و ابن بدران الدمشقي ،منادمة الإطلا ومسامرة الخيال ،ط1،روضة الشام،دمشق،1331هـ،ص244

ص244 .

والباني لهذه المدرسة هو "السلطان نورا لدين محمود زنكي (ت569هـ/1173م)" على نهر يزيد بجوار دير الحنابلة، وأن السلطان نور الدين محمود كان يزور والد أبي عمر الشيخ أحمد وفي إحدى المرات وجد خشبة مكسورة، في سقف المسجد فبعث من أصلحها بعد انصرافه[125] لكن المؤرخين ابن طولون (ت953هـ/1576م) وعبد القادر النعيمي (ت927هـ/1520م) خالفاه فيما رواه وبينا أن قوله سقف المسجد دليل على أن الذي سماه مدرسة صغيرة هو مسجد وليس مدرسة وهو المعروف بمسجد ناصر الدين غرب المدرسة العمرية وقول السبط بن الجوزي (ت 654هـ/1257م) أنها مجاورة للدير إنما هي مقابلة له يفصل بينهما طريق، كما أنه وصفها بالصغيرة، والمدرسة العمرية ليست بصغيرة[126]، وقد حقق الباحث ابن بدران الدمشقي في المسألة بالمعاينة والتنقيب في آثار العمرية المتبقية وما جاورها، فتبين له صدق ما قاله عبد القادر النعيمي وابن طولون، فقد أخطأ السبط بن الجوزي فيما رواه[127]، وقد جعل الشيخ أبو عمر مدرسته وقفا على تلقين علوم القرآن، والفقه والحديث وعدد من المواضيع الدينية على أن يعطي لطلبتها ومعلميها ما يكفيهم من المأكل والملبس بالمجان ثم اتسعت أوقافها وخيراتها حتى أصبحت خيراتها لا تضاهيها خيرات مدرسة أخرى من مدارس ذاك العصر، فكان يفرق فيها كل يوم ألف رغيف من الخبز ويوزع فيها الصابون على المجاورين ويفرق الزبيب والحلويات كل جمعة على النازلين بها وكان يطبخ للطلاب النازلين بها ما يكفيهم من الطعام في رمضان وفي الأعياد حتى أنه كانت تقدم لهم في العيد أضحية العيد، كما كانت تجري في هذه المدرسة عمليات لختان الأطفال من الفقراء والأيتام دون أي مقابل، وذلك بفضل أوقافها الكثيرة التي لم تكن تخلو سنة إلا ويحدث فيها وقف جديد لتحقيق غاية علمية معينة، ومن بعض أوقافها الأراضي الزراعية في البقاع اللبناني والذي بلغ عشر المساحة والأراضي والضياع إضافة إلى حقول دمشق وطرابلس وغيرها من قرى الشام، حتى قيل أنه صار لها من كل أنواع البر والخير[128].

ومن المكونات المعمارية للمدرسة العمرية: صحن –فناء– ومئذنة وإيوان كبير ومضيئة واسعة ومقصورة لقراءة القرآن الكريم وفرن لتسخين الماء، وكان فيها عند تأسيسها عشر حجرات للفقراء ثم ارتفع عددها عندما وسعت المدرسة بعد ضم المدرسة المرداوية[129]، فزاد العدد الكلي لحجراتها عن 360 حجرة منها قسم خاص بتعليم المكفوفين، وقسم خاص بالأطفال[130] فهي أشبه اليوم بمفهوم الجامعة الحالي تضم عدة كليات بمختلف فئات

---

[125] خالد علال، أنظر مطبعة الكويت، احسن

[126] خالد كبير علال،الحركة العلمية الحنبيلة وأثرها في المشرق الإسلامي خلال القرنين (7.6هـ13.12 م) ط1،مطبعة ،الطائف ،الكويت، الكتاب الثاني ج1433،1هـ .2012م،ص 334

[127] ابن بدران الدمشقي، منادمة الإطلال ومسامرة الخيال، المرجع السابق ص246 -247.

[128] حاتم محاميد،درسات في تاريخ القدس الثقافي ، ص49.

[129] المدرسة المرداوية: بناها جمال الدين المرداوي يوسف بن محمد المرداوي الحنبلي (ت1367م/769هـ) وهي بالقرب من المدرسة العمرية (أنظر حاتم محاميد، المرجع السابق، ص49).

[130] ابن طولون، القلائدالجوهرية، المصدر السابق، ج2، ص169.

الطلاب وطبقاتهم ومستوياتهم، وشيخ هذه المدرسة أشبه بمدير الجامعة اليوم، وكان الطالب لا يقبل فيها إلا بشروط في مقدمتها التمتع بالسلوك الحسن، والأدب والتقوى[131].

أما الإسهام الفكري والعلمي للعمرية: فلم يقتصر على علوم الفقه للمذهب الحنبلي بل تعداها إلى تدريس جميع أهل العلم دون أي تمييز طائفي وذلك بالرغم من معارضة

علماء الحنابلة، حينما أراد غير الحنابلة من أعيان الشافعية الدخول إلى المدرسة العمرية والاشتراك في تدريسها والنيل من أوقافها زمن القاضي شرف الدين ابن قاضي الجبل (ت771هـ/1369م) الذي قال لهم والله لا تنزلون بها أحدا إلا أنزلنا في المدرسة الشامية الكبرى نظيره، بمعنى أن يشرك ابن قاضي الجبل غير الشافعية في المدرسة الشامية الموقوفة فقط على المذهب الشافعي، ولكن فكرة اشتراك المذاهب الأخرى للعمرية، بقيت تراود القضاة الشافعية، حتى نجحوا في ذلك عام 847هـ/1443م، عندما قرر الشيخ عبد الرحمان بن داوود الشافعي إدخال بقية المذاهب الأخرى إلى المدرسة العمرية، ويذكر في هذا الصدد المؤرخ المقدسي الحنبلي يوسف بن عبد الهادي "ابن المبرد" (ت909هـ/1503م) أنه لم يسؤه جعل العمرية على المذاهب الأربعة (الحنبلي، الشافعي، المالكي، الحنفي) لأن فضل بانيها الشيخ أبي عمر "تعدّى غير الحنابلة ليشمل غيرهم من مختلف الطوائف المذهبية"[132].

وقد نظم بالمدرسة العمرية العديد من حلقات العلم، فكان يقرأ بها سبع من القرآن كل يوم بالإيوان القبلي يجتمع فيه خلائق، يختمون القرآن كل أسبوع مرّة، وسبع من القرآن كان ينظم فيها بعد المغرب كما كان يقرأ بها الثلثين بشيخ مرتب يقرأ عليه كل من يقرأ في المقصورة ولا يترك فيها القراءة طوال الليل، هذا إضافة إلى أنه كان يلقن القرآن في هذه المدرسة للأطفال كذلك، فمنها تخرج الآلاف من الفقهاء والقرّاء والمحدثين إذ يقول ابن طولون الصالحي قال: "أبو شامة القدسي" حفظ القرآن بها أمم لا تحصى[133].

كان مدرسو العمرية وشيوخها من أعاظم الشيوخ في دمشق كلّها، ونذكر منهم الفقيه تقي الدين أحمد بن محمد المقدسي ثم الصالحي (ت643هـ/1245م) وولده الحافظ عز الدين عبد الرحمان (ت661هـ/1262م) والقاضي شمس الدين عبد الرحمان بن الشيخ أبي عمر المقدسي (ت682هـ/1283م)[134] والخطيب نجم الدين أحمد بن قدامه (ت689هـ/1288م) والفقيه أبو العباس علي بن القاضي شمس الدين المقدسي (ت699هـ/1299م)[135] .

---

[131] غسان كلاس، المدرسة العمرية في الصالحية بعد أكثر من 800 عام، مجلة التراث العربي، العدد 109، السنة الثامنة والعشرون، دمشق، 1429هـ/2008م.

[132] ابن طولون ، القلائد، ص 179-171-174-175 والنعيمي، الدارس، ج2، ص 109.

[133] ابن طولون، القلائد، المصدر السابق، ج1،ص 176-177.

[134] ابن شداد، المصدر السابق، ص259- والنعيمي، ج2، ص 106.

[135] ابن رجب زيد الدين عبد الرحمان ،الذيل على طبقات الحنابلة ،مكتبة السنة المحمدية ،القاهرة ،1372هـ/1953م،ج2،ص343-347

ومن غير المقادسة فقد درّس بها شمس الدين أبو عبد الله محمد بن السلاوي عامل خانقاه خاتون ومحمد بن أبي عبد الصمد بن مرجان والفقيه تقي الدين إبراهيم بن علي الواسطي ثم الدمشقي الحنبلي والمحدث شهاب الدين أحمد بن رزيق الدين الحنبلي المعروف بابن الديوان (ت 741هـ/1341م1504م) وبرهان الدين بن مفلح المقدسي والشافعي نجم الدين بن قاضي عجلون والحنفي الشيخ عيسى البغدادي ،وبعض الأعيان من المالكية.[136]

وتعد المدرسة العمرية من فضائل الصالحية ودمشق كلها، وهي أكبر دليل يشهد بالفضل العلمي للمقادسة، فهي تمثل نموذجا كاملا للمدرسة الجامعة إذ يقول عنها ابن عبد الهادي يوسف بن المبرد (ت909هـ/1504م) لم يكن في بلاد الإسلام أعظم منها، حيث جمعت أقساما متعددة لتحفيظ القران وعلومه وروايات الحديث ،وتعليم الفقه ومذاهبه حتى أنها ضمت قسما خاصا بالمكفوفين، ويقول عنها محمد بن عيسى الكنان الصالحي الدمشقي "هي مكان مبارك لا يدخله أحد إلا وجد فيه روحانية من عند الله وخشية حتى قيل أن الدعاء فيها مجاب" وما زال الناس يقصدها اليوم للتبرك[137].

ويقول ابن طولون، لا يدخلها أحد إلا بشفاعة، ولا يخرج منها أحد بذنب وإنها لا تخلوا من الصالحين[138].

أما وصف العمرية في العصر الحديث فيصفها ابن بدران الدمشقي عام 1328هـ/1910م، بأنها معمورة الجدران لا ظل فيها للعلم ولا أثر سكنها قوم من ذو المتربة، ويمر بها نهر يزيد وفيها ما يقرب 110 حجرة والحجرات المأهولة بالطلبة 25 حجرة فقط وباقي الفرق خاص بالفقراء وحجراتها قديمة جدا وضيقة[139]. أما الألمانيان ولينس جر، واست ينجر ، فيصفاها عام 1325هـ/1907م بأنها دار للمساكين والفقراء[140].

ويصفها الباحث أسعد طلا س عام 1359 هـ بأنه لم يبق منها إلا غرف في الطابق الأرضي بسكنه طائفة من النوبة والسودان والمغاربة[141].

وقد أجرت عليها السلطات الفرنسية ترميمات عام 1361هـ/1942 م، حيث تم إعادة بنائها وترميم أقسامها في وقتنا الحاضر[142].

وكان للمدرسة العمرية مكتبة خاصة بها عامرة بآلاف الكتب من مختلف العلوم حتى ضمن نفائس الكتب ونوادرها مثل كتب الحسيني وكتب الشيخ قوام الدين الحنفي وكتب الشمس البانياسي وكتب المحدث جمال الدين

---

[136] نفسه،ج2،ص336 وابن طولون،القلائد ج1،ص 171-172-176

[137] غسان كلا س ،المدرسة العمرية ،مجلة التراث العربي،المقال السابق،ص2

[138] ابن طولون ،القلائد ،المصدر السابق،ج1،ص 180-181

[139] ابن بدران الدمشقي ،المرجع السابق،ص244

[140] غسان كلاس، المدرسة العمرية، في الصالحية، مجلة التراث، المقال السابق، ص3.

[141] نفسه، ص4.

[142] خالد كبيرعلال، المرجع السابق ص.336

ابن عبد الهادي وكتب شهاب الدين ابن منصور، وفيها مصحف بخط الإمام علي ابن طالب (رضي الله عنه).[143]

وتوجد العديد من هذه الآثار العلمية الخاصة بالمكتبة الظاهرية بدمشق، بعدما اضمحل أمر العمرية، وصار نظارها يتصرفون في كتبها تصرف السفهاء، ومن بعض المجاميع والكتب التي تضمها المكتبة الظاهرية والخاصة بالمكتبة العمرية ما يلي: كتب ورسائل ووجود العديد من السماعات التي كتبها كثير من العلماءبخطوطهم، كالحافظ ابن عساكر(ت571هـ/1176م) والحافظ الضياء المقدسي(ت643هـ/1246م)و **محمد** بن عبد المنعم بن عمار بن هامل الحراني (ت671هـ) وابن تيمية (ت 728هـ1328م) والحافظ الذهبي (ت748هـ) تقي الدين أبو الطاهر إسماعيل المعروف بابن الأنماطي (ت619هـ) وعلي بن حسين بن عروة الحنبلي(ت837هـ) وعلي بن ويوسف بن عبد الهادي (ت909هـ/1504م)[144].

ثالثا: دار الحديث الضيائية المحمدية[145]:

بناها الحافظ ، صاحب التصانيف، النافع، ضياء الدين محمد بن عبد الواحد المقدسي (ت643هـ/1246م)، ذكرها ابن شداد (ت 864هـ/1460م) في كتابه الأعلاق الخطيرة وعبد القادر النعيمي(ت927هـ/1521م) في كتابه الدارس في تاريخ المدارس ضمن مدارس الحنابلة، على أنها مدرسة للفقه لا للمذهب الحنبلي، لا دارا للحديث[146]، بينما ابن طولون(ت953هـ/1574م)، فقد ذكرها ضمن دور الحديث فقال عنها دارا الحديث الضيائية، ويقال عنها كذلك دار السنة بسفح قاسيون[147] فهل كانت الضيائية دارا للحديث أم مدرسة للفقه والمذهب،؟، وإن كانت مدرسة للمذهب، كما زعم كل من ابن شداد والنعيمي، فلما أسسها الضياء، وهناك مدرسة أخرى للمذهب" وهي مدرسة جده أبي عمر المقدسي "العمرية"، كما بين ابن رجب البغدادي ذلك حينما قال "العمرية وقف على القرآن والفقه"[148]، فا لأرجح أن الضيائية هي دارا للحديث، كما وضح ابن طولون لا مدرسة للمذهب، خاصة وأن معظم المصادر المطلع عليها تبين أنه درس فيها الحديث بشكل كبير إلى جانب الفقه، فيقول ابن رجب حينما ترجم لمحمد بن عبد الرحيم بن عبد الواحد

---

[143] ياسين محمد السواس ،فهرس مجاميع المدرسة العمرية ،دار الكتب الظاهرية بدمشق ،المنظمة العربية للتربية والثقافة والعوم،الكويت 1408هـ/1987م ، ص 12.

[144] نفسه ، ص 12.

[145] هناك مدرسة أخرى في دمشق في هذه الفترة، (القرن السادس هجري) تسمى كذلك بالضيائية المحاسنية، وذلك نسبة لبانيها ضياء الدين محاسن الذي أوقفها على من يكون أميرا للحنابلة ولا يعرف مكانها في الصالحية بالضبط ، وقد حاول الباحث ابن بدران الدمشقي تحديدها في تنقيبه عنها فلم يهتد لذلك (أنظر ابن شداد، المصدرالسابق، ص243)

[146] ابن شداد الأعلاق الخطيرة، المصدر السابق، ص258 والنعيمي، الدارس، المصدر السابق، ج2، ص91.

[147] ابن طولون القلائد، المصدر السابق، ج1، ص76.

[148] ابن رجب، المصدر السابق، ج2، ص 58.

المقدسي (ت688هـ/1290م) وهو ابن أخي الضياء أنه كان يدرس الفقه بمدرسة عمه وشيخ الحديث بها أيضا[149].

وقف الضياء مدرسته للحديث لأهل العلم الواردين في طلبه وبناها الضياء بالقرب من جامع الحنابلة على الجهة الشرقية بسفح قاسيون على قطعة أرض ورثها عن والده عبد الواحد المقدسي وجعلها لأهل العلم الواردين في طلبه والغرباء من الطلبة الوافدين إليها[150].

وروى ابن رجب الحنبلي البغدادي، أن الضياء عند بنائه للمدرسة كان يبني جانبا منها ثم يتوقف، حتى يجمع مالا آخر فإذا جمعه واصل بناءها، ويعمل فيها بنفسه، وكان مع فقره وحاجته للمال لا يقبل من احد شيئا تورعا[151].

في حين أن ابن شداد يذكر أنه أعانه[152] على بنائها بعض أهل الخير والواقع أن ابن رجب وقع في تناقض حينما روى الخبر، حيث ذكر كذلك أن أهل الخير أعانوا الضياء على بناء هذه المدرسة[153]، لكن ربما قصد ابن رجب أن الضياء لم يقبل مالا من أحد مشبوها، وأنه مع فقره وحاجته الشديدة، كان حريصا على أن يبني مدرسته بمال حلال[154].

أما فيما يخص تاريخ بناء الضيائية، فقد رجح الدكتور محمد مطيع الحافظ أنها كانت قائمة بعد عودة الضياء من رحلته المشرقية الأولى (عام 1174/569م) لأن الضياء، سمع فيها من شيخه عمر بن طبرزد في جمادي الأولى عام (603هـ/1207م)، وهذا يدل على أن المدرسة كانت قائمة في تلك السنة، وكان الضياء يزيد فيها حتى اكتملت عام (620هـ/1224م)[155].

أما الوصف المعماري لهذه المدرسة فيذكر ابن طولون "أنها تشتمل على مسجد له باب غربي، قدام باب خلوة الكتب والأجزاء المذكورة، ولهذا المسجد شباكان مطلان على ضفة بئر ماء، وهذه الضفة في صحن المدرسة، كما تحتوي على حجر علوية وسفلية، وبيت للخلاء، وقد احدث ابن قاضي الجبل ابو العباس احمد (693هـ-771هـ/1294م-1370م)بابها الغربي، فأقام عليه جماعة بسبب ذلك وقد انشد في ذلك موسى الكناني البيت التالي:

---

[149] نفسه، ج2، ص321.

[150] ابن شداد، الأعلاق الخطيرة، المصدر السابق، ص285 وابن شاكر الكتيني، فوات الوفيات، المكتبة الشاملةج4، ص427، صلاح الدين الصفدي ،الوفي في الوفيات،المكتبة الشاملة، ج1، ص474، وابن رجب، المصدر السابق، ج2، ص328.

[151] نفسه، ج2، ص328.

[152] ابن شداد، المصدر السابق، ص258، وقد ثبت هذا الخبر كذلك عند الصفدي في الوافي ج4، ص66.

[153] ابن رجب ،المصدر السابق، ج2، ص328، وابن شاكر الكتيني، فوات الوفيات، ج3، ص427.

[154] خالد علال، الحركة العلمية الحنبلية، المرجع السابق، ص 340

[155] موقع دار الحديث الضيائية http://www.addyaiya.com

باب الضيائية بلا درج***خير من المحدث الغربي بالدرج [156].

وأما أوقاف الضيائية فهي كثيرة بفضل تبرعات المحسنين، قال ابن طولون "والوقف على هذه المدرسة غالب دكاكين السوق الفوقاني وحوانيت وجنينة في النيرب وأرض بسقيا، ويؤخذ لأهلها ثلث قمح ضياع وقف دار الحديث الأشرفية بالجبل وهي الدير والدوير والمنصورة، والدليل والشرفية[157].

أما عن النشاط العلمي لهذه المدرسة فقد كانت عامرة بحلقات العلم ولم يزل العلماء يدرسون فيها ما تركه لهم الحافظ الضياء المقدسي ومن أمثلة حلق العلم التي نشطت فيها نذكر بعض السماعات على جزء ألفه الضياء "اختصاص القرآن بعوده إلى الرحيم الرحمان[158]، وهي:

1- سمع جميع هذا الجزء على مؤلفه شيخنا الحافظ الضياء، الناقد عمدة المحدثين أبو عبد الله بن أبي أحمد عبد الواحد احمد بن عبد الرحمان المقدسي، أمتع الله ببقائه ونفع به الفقيه الإمام جمال الدين أبو الفرج عبد الريحان بن سليمان بن سعيد البغدادي ثم الحراني، وابنه أبو عبد الله محمد وأحمد بن عيسى أبي محمد عبد الله بن أحمد بن قدامه المقدسي بقراءته، وهذا خطه في يوم الثلاثاء الرابع من شهر شعبان سنة 632هـ/1235م بدار الشيخ الضيائية عمرها الله سبحانه[159].

2- سمع علي جميع هذا الجزء بقراءة ابن أخي الفقيه شمس الدين أبو عبد الله محمد بن عبد الرحيم ابن عبد الواحد أحمد المقدسي، عبد الرحيم بن علي بن أحمد بن عبد الواحد بن احمد ومحمد ابن... بن أحمد بن محمد بن الحافظ بن عبد الغني، وعبد الرحمان بن أحمد بن يونس المقدسيون، وساعد ابن ... ثلاج المحي، وذلك يوم الأربعاء الخامس من شعبان من سنة اثنين وثلاثين وستمائة وكتب محمد بن عبد الواحد بن أحمد بن عبد الرحمان المقدسي والحمد لله وحده، وصلى اللهم على محمد وآله وسلم تسليما كثيرا[160].

3- قال محمد بن أبي الفتح بن أبي الفضل البعلي: "قرأت جميع هذا الجزء على شيخنا الإمام العابد الورع جمال الدين أبي الفرج عبد الرحمان بن سليمان بن سعيد البغدادي أبوه أثابه الله الجنة برحمته ونفعنا به، بحق سماعه على مؤلفه فسمعه الفقيه الفاضل أمين الدين حسين بن عبد العزيز حاضرا في الخامسة. وصح ذلك وثبت في حلقة الثلاثاء "حلقة الحنابلة"[161] من جامع دمشق في السادس عشر من رمضان سنة 667هـ[162].

---

[156] ابن طولون ،القلائد، المصدر السابق، ج1، ص138-139.

[157] نفسه ،ج1، ص139، والنعيمي ، المصدر السابق، ج2، ص99 .

[158] اختصاص القرآن بعوده إلى الرحيم الرحمان،كتاب في علوم القرآن ،الفه الضياء المقدسي(ت643هـ)

[159] موقع دار الحديث الضيائية، المقال السابق

[160] موقع دار الحديث الضيائية ،المقال السابق

[161] حلقة الحنابلة:هي عبارة عن مجلس علمي من مجالس الحنابلة، تقام في الجامع الأموي كل أسبوع من يوم الثلاثاء (أنظر النعيمي، المصدر السابق، ج2، ص107).

[162] موقع دار الحديث الضيائية، المقال السابق

4- قال الهادي ولد المسمع أبي بكر أحمد بن محمد بن عبد الرحيم بن عبد الواحد المقدسي: "قرأت جميع هذا الجزء على والدي: أبي عبد الله بن عبد الرحمان بن سلامة المقدسي، وحسن بن عمر بن البغدادي، وسمع من قوله "عن علي بن أبي طالب رضي الله عنه إلى آخره، وصح ذلك وثبت يوم الأربعاء تاسع وعشرين جمادي الآخرة في حدود القرن السابع هجري[163].

5- أسمع هذا الجزء كذلك على القاضي سليمان بن حمزة بن أحمد بسماعه من مصنفه بقراءة الحافظ المزي محمد بن عبد الله بن أحمد ابن المحب.. الثالث والعشرين من شعبان سنة أربع عشرة وسبعمائة[164].

وهذه السماعات تدل على أن المدرسة الضيائية كانت عامرة بحلقات العلم، ولم يزل العلماء يدرسون فيها ما تركه لهم الحافظ الضياء، وغيره من علماء الأسرة.

أما من ولى التدريس بالمدرسة الضيائية من بعد الضياء، فنذكر، الشيخ تقي الدين بن عز الدين (ت 643هـ/1245م)وهو أول من ولى التدريس بالعمرية[165]، ثم من بعده الشيخ شمس الدين الخطيب (ت682هـ/1283م)، ثم ولده نجم الدين (ت 689هـ/1290م) وابن الكمال المقدسي (الإمام المحدث شمس الدين بن أخي الضياء (ت607هـ-688هـ/1211م-1290م) مدرس المدرسة الأشرفية بالجبل، وأحمد بن عبد الله بن أحمد بن أبي بكر السعدي أبو العباس (ت703هـ/1306م)، أحد أتقياء الصالحية[166]، ومحمد بن عبد الهادي المقدسي (705هـ-744هـ/1306م1345م)[167] ومحمد بن إبراهيم بن عبد الله بن الشيخ أبي عمر المقدسي (ت748هـ/1348م)[168].

و من ولى فيها الدروس من غير المقادسة، نذكر، عمر بن عبد الأحد الحراني ثم الدمشقي، المعروف بأبي حفص (685هـ.-749هـ/1287-1349م)[169]، وأبو عبد الله محمد بن محمد بن احمد بن عبد الواحد بن عبد الكريم الأنصاري الشهير بابن الزملكاني (692هـ-762هـ/1294م-1361م)[170].

وقد حوت الضيائية مكتبة ضمت العديد من الأجزاء الحديثية والنفائس من الكتب حتى قال الجمال بن عبد الهادي فيها –أي الضيائية- "وكان بها العديد من الأجزاء الحديثية والنفائس من الكتب، حتى قال إنه كان فيها خط الأئمة الأربعة ويقال إنه كان فيها التوراة والإنجيل[171].

---

[163] نفسه

[164] نفسه

[165] ابن شداد الأعلاق الخطيرة، المصدر السابق، ص258.

[166] النعيمي، الدارس ، ج2، ص96.

[167] محمد بن عبد الهاي محمد المقدسي، طبقات علماء الحديث،ط2، تحقيق أكرم البوشي وإبراهيم الزيبق، مؤسسة الرسالة، بيروت، 1471هـ/1996م، ج1، ص29.

[168] النعيمي، المصدر السابق، ج1، ص 328

[169] ابن رجب، المصدر السابق، ج2، ص443.

[170] موقع دار الحديث الضيائية،المقال السابق.

ومعظم هذه الكتب هي من وقف وتحصيل الضياء، وفيها كذلك من وقف الشيخ موفق الدين المقدسي(ت620هـ/1224م،وعمربنالحاجب(ت630هـ/1233م)وابن هامل(ت575هـ/1271م) الحراني، والحافظ عبد الغني المقدسي(ت600هـ1204م)[172].

وقد تعرضت دار الحديث الضيائية إلى عدة نكبات ألحقت الضرر بمكتبتها، فقال ابن طولون: "وقد نهبت في نكبة الصالحية نوبة قزان، وراح منها شيء كثير، ثم تماثلت وتراجعت[173]، وقال ابن كثير في حوادث سنة 699هـ/1300م أن الضيائية تعرضت لهجوم التتار[174].

وبالرغم مما حصل فقد استطاعت المكتبة الضيائية أن تضيء لطلبة العلم طريقهم لسماع الحديث، فتماثلت من جراحها ورجع إليها بعض ما فقدت، وقد مرت بحالة ازدهار أيام بني المحب المقدسي، ثم تراجعت، وحول هذا ينقل ابن طولون عن شيخه الجمال بن عبد الهادي المقدسي، قوله"وكانت مضبوطة الحال أيام خزنتها بني المحب، وبعدهم صارت إلى القاضي ناصر الدين بن رزيق(ت900هـ/1773م)[175].

أما الوصف الحديث للضيائية فيقول عنه ابن كنان الصالحي (ت1153هـ/1741م) "صارت المدرسة الآن سكنا لبعض عوام الهنود، وليس فيها أحد من الطلبة لخراب حارة الحنابلة، وحارة الداودية[176]، ويقول عنه ابن بدران الدمشقي: "رأيت في شرقي الجامع المظفري جدارا عظيما وفيه الباب، وقال لعلها هي المدرسة"[177]، ويقول عنه محمد أحمد دهمان "اضمحل أمر هذه المدرسة قبل مائة عام من عصرنا –أي حوالي (1270هـ/1854م)– فأخذت كتبها ووضعت في المدرسة العمرية، ثم اضمحل أمر العمرية، بعد ذلك، فجمعت خزائن كتب المدارس، وألف منها المكتبة الظاهرية التي تحوي العديد منها الآن[178] كثيرا من الكتب القيمة، وقف عليها خطوط العلماء، وخاصة خط الضياء المقدسي، وقال أيضا "أصبحت هذه المدرسة، دارا تشتغل لمصالح الجامع المظفري، ولم يبق من بنائها القديم إلا قوس أبوابها الشمالي، رأيته سالما قبل 12 سنة –أي حوالي سنة 1356هـ/1937م[179].

---

[171] ابن طولون، القلائد، المصدر السابق، ج1، ص 78.

[172] نفسه، ج1، ص 78.

[173] ا بن طولون، القلائد، المصدر السابق، ج1، ص 79.

[174] ابن كثير، البداية والنهاية، المصدر السابق،ج14،ص10

[175] ابن طولون، القلائد، ج1، ص 82.

[176] موقع دار الحديث الضيائية، المقال السابق

[177] ابن بدران الدمشقي، المرجع السابق، ص243.

[178] موقع دار الحديث الضيائية، المقال السابق

[179] 67 لأن أحمد دهمان ذكر ذلك في الطبعة الأولى من كتاب القلائد الجوهرية الذي تم طبعه في سنة 1368هـ/1937م

وهي واقعة مقابل باب جامع الحنابلة الغربي تماما، وتدعى الآن بالضلاعية[180]، وقال الشيخ محمد أديب تقي الدين "لم يبق منها سوى الباب والجدار، وفيه أربع شبابيك، وداخلها مسكنا واتخذ بيتا[181]، وقال محمد مطيع الحافظ "ومازال أثر هذه المدرسة واضحا في شرقي جامع الحنابلة، وبداخله دارا للسكنى[182].

رابعا: جامع الحنابلة:[183]

يقع في الصالحية في حي أبي جرش زقاق الحنابلة[184]، شرع في بنائه الشيخ أبو عمر (ت607هـ/1210) – مؤسس المدرسة العمرية– وأنفق عليه رجل يقال له الشيخ أبو داود محاسن الفامي، فلما بلغ المسجد قدر قدم نفد المال، ولما سمع به الملك المظفري (ت630هـ/1232م) أرسل ثلاثة ألاف دينار لإتمامه، وشراء ما تبقى من المال أوقافا له ثم بعث مرة أخرى ألف دينار ليساق إليه الماء، من قرية مردا المجاورة له، فمنع ذلك ملك دمشق المعظم عيسى بن العادل (ت624هـ/1227م) بحجة أن في طريقه قبورا كثير للمسلمين ،وحفر له بئر عليه دار ووقفت عليه أوقافا أخرى وعندما اكتمل جعل فيه الشيخ أبو عمر المقدسي منبرا على ثلاثة مرافي والرابعة للجلوس، كمنبر النبي—صلى الله عليه وسلم–[185].

ويتكون جامع الحنابلة من مئذنتين الواحدة معلومة الآن، والثانية كانت في قبلة المصيف، ليس لها الأثر الآن[186]، وفي الجامع محراب[187] من حديد أي عمود من معلق فيه قنديل، على بركة الجامع، ويشير الباحث محمد مطيع الحافظ إلى أن كل من المحراب

---

[180] موقع دار الحديث الضيائية، المقال السابق

[181] نفسه

[182] نفسه

[183] قال يوسف بن عبد الهادي: لجامع الحنابلة أربع نسب مشهورة، الأولى نسبة للملك المظفري "مظفر الدين كوكبري لأنه هو الذي صرف على إتمام بنائه، وتكيل عمارته ،والثانية جامع الحنابلة لأنه مختص بهم في الوقف، والثالثة جامع الجبل لأنه في مصاعد الجبل —أي جبل قاسيون –، والرابعة جامع الصالحين نسبة للمقادسة الصالحين الذين عمروا الصالحية (أنظر يوسف بن عبد الهادي،ثمار المقلصد في ذكر المساجد ،تحقيق أسعد طلاس ،المعهد الفرنسي للدراسات العربية د ط ت ص125، وابن طولون، المصدر السابق، ج 1،هامش الصفحة 49، والنعيمي ،المصدر السابق ج2، ص 432، وابن بدران، منادمة الإطلال، المصدر السابق، ص373).

[184] يوسف بن عبد الهادي، ثمار المقاصد، في تاريخ المساجد، ص273 ، ومحمد مطيع الحافظ ،جامع الحنابلة ((المظفري))،دار البشائر بيروت،1423هت/2002م ،ص22

[185] ابن شداد،المصدر السابق، ص86، وابن كثير ،المصدر السابق ج13، ص32–56 والنعيمي، ج2، ص435–436.

[186] محمد مطيع الحافظ، الجامع المظفري، المرجع السابق، ص 30

[187] المحراب، يقصد به ما يحارب به وهو الحربة (مطيع الحافظ، جامع الحنابلة، ص 30).

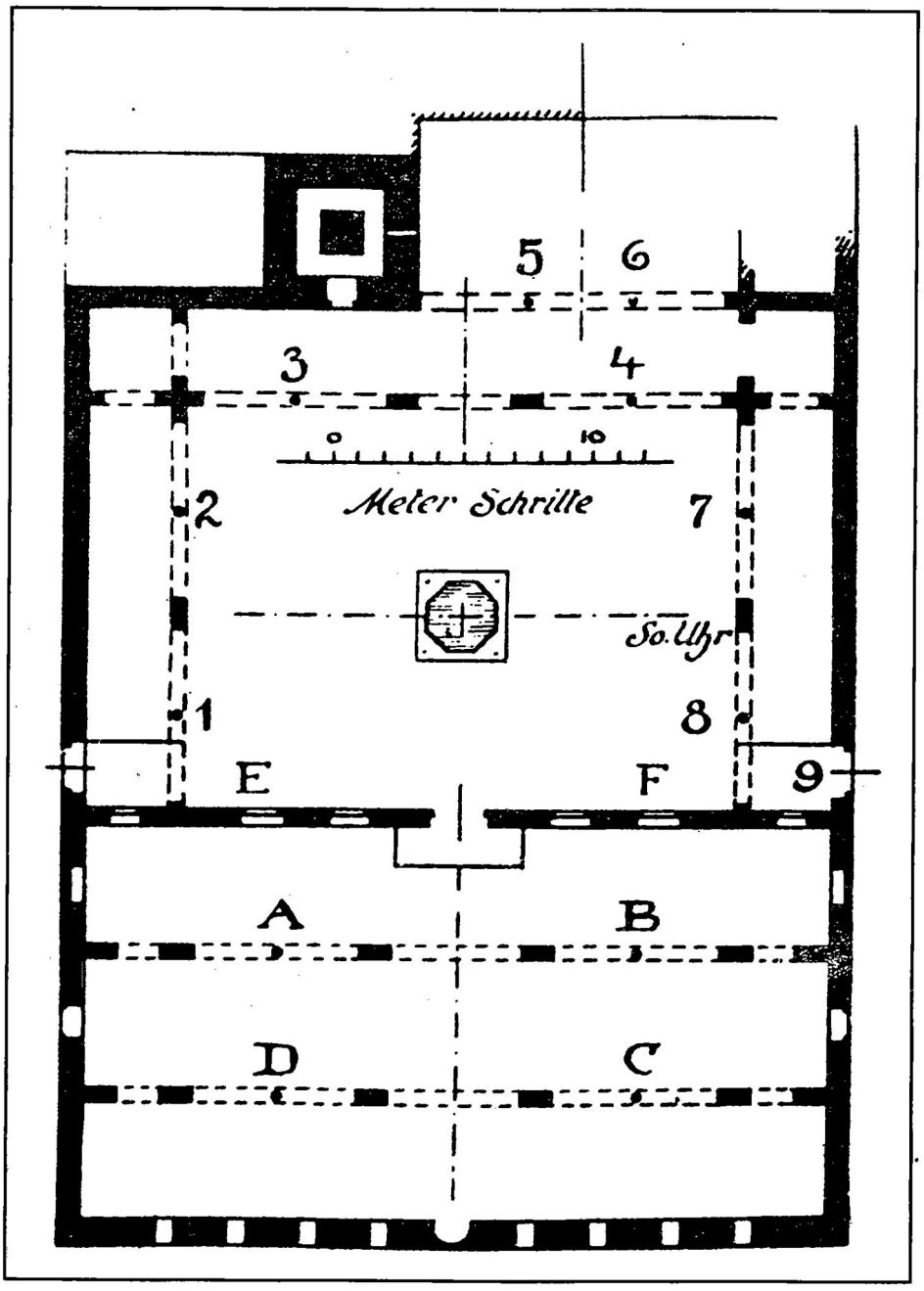

مسقط أرضي لجامع الحنابلة

٣٦

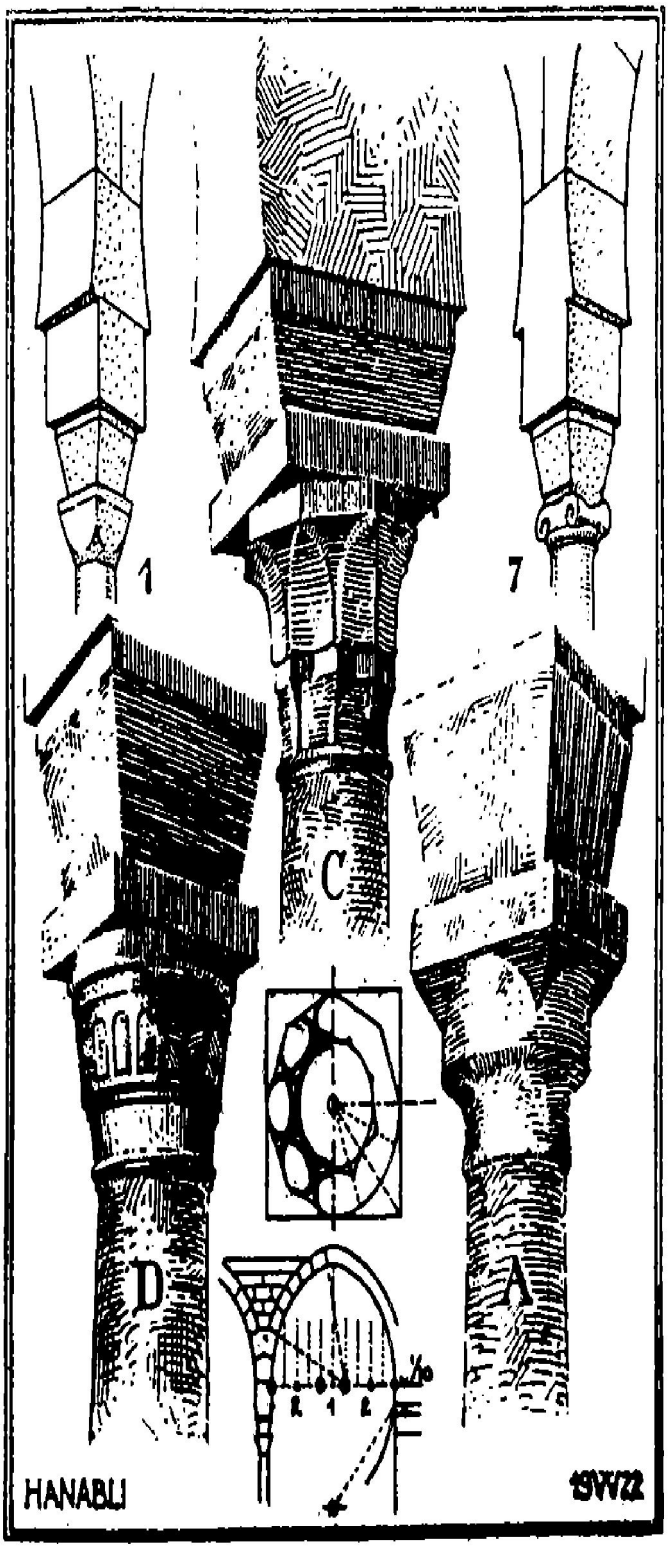
1
7
C
D
A
HANABLI

والمئذنة مازال لحد الآن[188] في الجامع وفيه بركة ماء يجري إليها الماء من المدار الغربي للجامع من إنشاء الملك المظفري وشبابيكه مطلة على المصلى بابين شرقي وغربي، وكان مبلطا وكان الناس يصلون فيه أيام الصيف، ثم لما أفتى الشيخ عيسى الحنفي بهدم ترب بالركنية وغيرها، وأن ترم بها المساجد في المحلات العامرة بالصالحية وتنقل إليها بلطوا هذا الرواق ووضعوا به منبرا من حجر فلم يتم ذلك وامتنع الناس من الصلاة به وقبليه من جهة الشرق أي شرقي المصلى حوض به أشجار نارنج وفيه باب نافذ لبيت الخطابة ويقر به مئذنة معطلة وقد حددت مئذنة أيامنا واستمرت معطلة[189].

أما أوقاف الجامع فقد تقدم معنا أن الملك المظفري ، أرسل مع حاجبه ثلاثة آلاف دينار كسياق الماء إليه من قربة برزة، وضع بدلا عن ذلك بئرا ووقف عليه وقفا ثم أضيفت له أوقاف بعض المساجد والمدارس المعطلة ثم تتابع أهل الخير في الوقف عليه وفي ترميمه وإصلاحه.[190]

وكان لجامع الحنابلة نشاط علمي متنوع فقد عقدت فيه حلقات علم متنوعة منها حلقة لقراءة الحديث الشريف يوم الجمعة، للمحدث الشهاب محمد بن خلف بن راجح المقدسي (ت618/1221م)، الذي كان يقرأ على الناس الحديث يوم الجمعة وهو جالس أسفل المنبر بالجامع[191] وحلقة لإقراء القرآن الكريم للمقرئ أبي عبد الرحمان بن أحمد المقدسي (635هـ/1237م) لقن فيها القرآن خلقا كثيرا نحو أربعين سنة دون مقابل[192] والثالثة للفقيه شرف الدين أحمد بن قدامه المقدسي(ت687هـ/1288م) درس فيها الفقه لغير معلوم[193] كما عقدت فيه العديد من المجالس العلمية، لإسماع الحديث أذكر منها ثلاثة مجالس على سبيل الاختصار:

- الأول: مجلس البطاقة من أمالي حمزة الكناني على ثلاثة عشر شيخا وشيخة في ثلاثة عشر رمضان سنة 698هـ/1299م، وقد سمع جميع هذا المجلس على المشايخ الآتية أسماؤهم

1- الإمام العالم شمس الدين محمد بن حمزة بن أحمد بن عمر.

2- والعالم شمس الدين محمد بن عبد الرحمان بن عمر بن عوض.

3- وابن عمه شرف الدين.

4- الأخوين شرف الدين عبد الله وعز الدين محمد ابني الإمام عبد الرحمان بن أبي عمر.

5- جمال الدين عبد الله بن احمد بن عمر بن أبي عمر.

---

[188] يقصد بها سنة 2002م التي تمثل تاريخ طباعة كتاب جامع الحنابلة للدكتور محمد مطيع الحافظ

[189] مطيع الحافظ، المرجع السابق، ص31 .

[190] نفسه، ص31 .

[191] ابن كثير، البداية والنهاية، ج13، ص113.

[192] الذهبي، تاريخ الإسلام، المكتبة الشاملة ، ص246.

[193] ابن رجب، المصدر السابق، ج2، ص 319، وابن العماد الحنبلي، المصدر السابق، ج 7، ص698.

6- كمال الدين أبي بكر بن أحمد بن أبي الطاهر.

7- شمس الدين محمد بن أحمد العماد إبراهيم بن عبد الواحد.

8- الشهاب أحمد بن علي بن مسعود.

9- ووالدي شهاب الدين أحمد بن المحب عبد الله بن احمد بن محمد المقدسيين.

10- الإمام المقري زين الدين أبي محمد عبد الرحيم بن علي بن عبد الرحمن بن البغدادي الدارقزي.

11- وأم زينب بنت مظفر بن احمد الهروي.

12- أم محمد خديجة بنت عبد الرحمان بن محمد بن إبراهيم المقدسية

- والثاني: مجلس إقراء انتخاب الطبراني لابنه سنة 707هـ/1308م، أسمعه أربعة عشر شيخا وشيخة وهم كالتالي:

1- سعد الدين أبي محمد يحي بن محمد بن سعد بن عبد الله المقدسي.

2- شمس الدين أبي عبد الله محمد بن أبي الهيجاء بن أبي المعالي بن الزراد.

3- وشمس الدين أبي عبد الله محمد بن أحمد بن محمد بن إبراهيم بن احمد المقدسي

4- والحاج أبي بكر بن محمد بن عبد الرحمان بن محمد بن عبد الجبار المقدسي.

5- شهاب الدين أبي العباس أحمد إبراهيم بن عبد الرحمان الصر خدي القواس.

6- شهاب الدين أبي العباس أحمد بن إبراهيم بن مري بن ربيعة المقدسي.

7- الحاج أبي لحفص عمر بن عبد الرحمان بن مؤمن بن أبي الفتح الصوري.

8- شمس الدين محمد بن أبي بكر بن احمد بن عبد الدايم بن نعمة المقدسي.

9- وأم محمد زينب بنت مظفر بن احمد بن أبي البركات الهروي.

10- وأم محمد ست العرب.

11- وأم عبد الله حبيبة بنتي إبراهيم بن عبد الله بن الشيخ أبي عمر ابن قدامه المقدسي.

12- وآم عبد الله زينب بنت أحمد بن عبد الرجيم بن عبد الواحد بن أحمد المقدسية.

13- وأم أحمد عائشة بنت رزق الله بن عوض بن راجح المقدسي.

14- وابنتها أم علي فاطمة بنت عبد الله بن عمر بن عوض بن راجح المقدسية[194]

- والثالث: مجلس سماع حديث آدم بن أبي إياس العسقلاني المتوفى سنة 221هـ/837م رواية إسحاق بن إسماعيل الرملي نزيل أصبهان بتاريخ رجب عام 721هـ.

[194] مطيع الحافظ، الجامع المظفري، ص445.

أسمع هذا الجزء المشايخ الآتية أسماؤهم:

- الإمام العلامة أقضى القضاة شرف الدين أبو محمد عبد الله بن الحسن بن عبد الله بن الحافظ عبد الغني المقدسي
- الخطيب تقي الدين أبو العباس أحمد بن إبراهيم بن عبد الله بن الخطيب أبي عمر.
- ومحب الدين أبو عبد الله محمد بن المحب عبد الله بن احمد بن محمد بن إبراهيم.
- شمس الدين أبو عبد الله محمد بن عمر بن احمد بن عبد الدايم.
- وشمس الدين أبو عبد الله محمد بن إبراهيم بن مري بن ربيعة.
- وعماد الدين أبو بكر بن محمد بن الرضي عبد الرحمان بن محمد بن عبد الجبار.
- وأم علي فاطمة بنت عبد الله بن عمر بن عوض المقدسيين.
- وشمس الدين أبو عبد الله محمد بن أحمد بن الهيجاء الزراد.
- وأبو العباس أحمد بن علي بن سعود بن ربيع الكلبي.
- وأم عبد الله زينب بنت الكمال احمد بن عبد الرحيم بن عبد الواحد المقدسي.

وقد تولى إمامة هذا الجامع وخطابته علماءعدة أغلبهم من أسرة المقادسة الصالحين خلال الفترة من القرن السادس هجري إلى القرن العاشر هجري منهم الشيخ أبي عمر المقدسي وأخوه الموفق عبد الله بن قدامه (ت 620هـ)/1223م) وابناه شرف الدين عبد الله (ت643هـ)/1245م)، وقاضي القضاة شمس الدين عبد الرحمان (ت682هـ/1283م) وولد هذا الأخير أبي الحسن علي (ت699هـ/1299م)[195] أما من تولى إمامته من غير المقادسة فنذكر إبراهيم بن علي بن الواسطي الصالحي (ت692هـ) وأحمد بن عبد الحليم بن عبد السلام بن تيمية الحراني (ت728هـ/1328م) وأحمد بن محمد المرداوي الصالحي ابن الديوان (ت940)[196].

وكان لجامع الحنابلة مكتبة موقوفة عليه، ومعظم الحنابلة كانوا يقرؤون دروسهم فيه ضمت هذه المكتبة مجموعة من الكتب الفقهية في المذهب الحنبلي والعديد من الكتب الحديثية إضافة إلى العديد من الأجزاء الحديثية وقفها المقادسة أنفسهم مثل محمد بن محمد المقدسي"المحب" (ت728هـ/1328م) ويقال فيها مصحف بخط الموفق بن قدامه[197]. وقال ابن طولون في ترجمته للمحب المقدسي السابق الذكر أنه كان يقرأ الصحيحين في الجامع الأموي في نسخته الحسنة التي أوقفها بجامع الحنابلة وحصل بها النفع،[198] غير أن النكبات المتكررة[199] التي أصابت

[195] ابن رجب، المصدر السابق، ج2، ص 135 -305-307 - 343-344 والنعيمي، المصدر السابق، ج2، ص346.

[196] محمد مطيع الحافظ، المرجع السابق، ص704.

[197] نفسه، المرجع السابق، ص52 .

[198] ابن طولون ، القلائد، المصدر السابق، ج2، ص 430.

الجامع، أصابت المكتبة كذلك، لذلك لا تشير المصادر التي تتحدث عن جامع الحنابلة عن وجود مكتبة كبيرة فيه خاصة وأن كلا من الضيائية والعمرية، حوتا على مكتبتان كبيرتان تمكن من الاستفادة منهما.

أما الوصف الحالي لجامع الحنابلة، فيذكر أنه مازال قائما إلى يومنا هذا في حالة جيدة، وهو يشبه في مخططه العام الجامع الأموي وله إيوانان كبيران وصحن واسع ومربع ومئذنة مربعة تتوسط جداره الشمالي ومحراب حجري رائع الصنع يعلوه قوس له ظفيرة وسلسلة منقوشة في الحجر وليس شبيه في المحاريب الأخرى وله أي –الجامع– منبر خشبي غني بالنقوش والزخارف وله كذلك نوافذ جصية مليئة بالزخارف النباتية[200].

خامسا: دار الحديث الأشرفية البرانية (المقدسية):[201]

تقع بسفح قاسيون على حافة نهر يزيد بسفح قاسيون وشرق المدرسة الحنفية المرشدية[202] وغرب المدرسة الأتابكية[203]، بناها للمقادسة الملك مظفر الدين موسى الملك العادل أبي بكر بن أيوب وأسندها للحافظ ابن الحافظ جمال الدين عبد الله بن عبد الغني المقدسي وجعل له فيها مسكنا ورزقا معلوما ولذريته، لكنه مات– أي الحافظ جمال الدين –قبل الفراغ منها[204].

ووقف عليها خمس ضياع بالبقاع،والدير والدوير والتليلا والمنصورة ولها بيت ابن النابلي المعروف بالكشك والشرفية وحكر حارة الجوبان والجنينة [205].

أما من ولى التدريس بدار الحديث الأشرفية فهم كلهم من أسرة المقادسة أمثال: القاضي شمس الدين بن أبي عمر (ت682هـ/1283م) والفقيه محمد بن الكمال عبد الرحمان السعدي (ت688هـ/ 1290م) قاضي القضاة الحسن بن عبد الله بن أبي عمر المقدسي وابنه عز الدين، والقاضي سليمان بن حمزة (ت717هـ/1318م) وابنه القاضي الحسن بن محمد، ثم تغير الأمر بعد ذلك وأصبح التدريس فيها لكل من ولى قضاء القضاة من الحنابلة[206].

---

[199] من بين النكبات التي أصابت الجامع المظفري، هجوم قازان سنة 692هـ، وهجوم التتار التي انتهى سنة 803هـ، مما أدى إلى تصرف نظار المكتبات فيها تصرفا لسفهاء فبيعت الكتب بالأثمان البخسة مع علمهم أنها وقف وامتلأ السوق يوقف الحافظ عبد الغني والضياء (أنظر الذهبي ،تاريخ الإسلام حوادث سنة 699هـ، ج13، ص420

[200] خالد كبير علال، المرجع السابق، ص 301.

[201] لأنها تقع خارج دمشق ولأن هناك مدرسة أخرى تقع داخل دمشق تسمى دار الحديث الأشرفية الجوانية (أنظر عنها ابن بدران، منادمة الإطلال، المصدر السابق، ص 24–32)

[202] المدرسة المرشدية: هي من مدارس الحنفية بالصالحية، تقع على نهر يزيد جوار دار الحديث الأشرفية، أنشأتها بنت الملك المعظم شرف الدين عيسى ابن الملك عادل عام 564هـ (أنظر الدارس، ج1، ص248).

[203] المدرسة الأتابكية: هي من مدارس الشافعية بدمشق، غربها المدرسة الأشرفية أنشأتها أخت نور الدين أرسلان بن أتابك صاحب الموصل (ت640هـ، (أنظر الدارس، ج1، ص44–45).

[204] النعيمي، المصدر السابق، ج1، ص14.

[205] ابن طولون، القلائد، المصدر السابق، ج1، ص 95–96 والنعيمي، المصدر السابق، ج1، ص49.

[206] ابن طولون القلائد ،ج1المصدر السابق ص96، والنعيمي، المصدر السابق، ص51–52، وابن بدران الدمشقي، المرجع السابق، ص33.

ومن مكوناتها العمرانية صحن واسع فناء وثلاث أبواب أوسطها كبير وحجرات تحتية وفوقية، وقاعة واسعة، وبئر ومسجد، وشبابيك[207]، وهي أتقن بناء وأتم هندسة من دار الحديث الأشرفية الجوانية الموقوفة على الشافعية بداخل دمشق[208]، ولم يكن باقي من آثارها في الربع الثاني من القرن العشرين إلا القليل من آثارها منها باب المدرسة.[209]

سادسا: الزاوية العمادية المقدسي:

قال ابن طولون تقع بسفح قاسيون عند كهف جبريل أسسها العماد إبراهيم المقدسي الصالحي (ت 614هـ). ثم ذكر أنها ليست بمعرووفة.[210]

ولم اعثر من خلال بحثي في كتب التراجم والتاريخ ،عن تاريخ بناء هذه الزاوية ،ولا عن النشاط العلمي فيها.

وختاما لهذا الفصل فإننا نستنتج أنه كان لأسرة المقادسة دور فعال في نهضة دمشق العلمية ،ويتضح ذلك من خلال مساهمة علماء ومشايخ الأسرة في بناء المراكز العلمية كا لجوامع مثل الجامع المظفري والمدارس مثل العمرية والضيائية ،والأشرفية ،والزوايا مثل الزاوية العمادية المقدسية،والتي اعتبرت من المراكز العلمية الكبرى في هذه الفترة (القرنين 6-7هـ/12-13) قصدها العلماء وطلبة العلم من مختلف أنحاء المشرق للتعليم فيها.

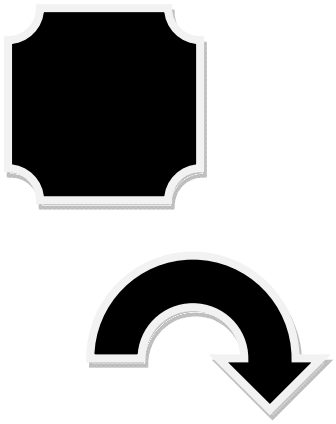

[207] ابن طولون، القلائد، المصدر السابق، ص102.

[208] النعيمي ،المصدر السابق،ج1،ص99

[209] ابن بدران الدمشقي ،المصدر السابق،ص33 والنعيمي ،المصدر السابق،ج1،ص19 ، وهامش الصفحة 49

[210] ابن طولون ،القلائد،المصدر السابق،ص196